مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُس صادقةٌ هي الكلمةُ وإيّاها أريدُ أن تقرّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا بالله في القيامِ بالأعمالِ الحسنة. فهذه هي الأعمالُ الحسَنَةُ والنافعة* أما المُباحثاتُ الهَذيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتَنِبْها. فإنها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعد الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنه* عالِمًا أنَّ مَن هو كذلك قد اعتَسَفَ وهو في الخطيئة يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيني إلى نيكوبولِسَ لأني قد عزمتُ أن أشتّي هناك* أما زيناسُ معلّمُ الناموسِ وأبُلّوسُ فاجتهد في تشييعهما متأهّبين لئلا يُعوِزهما شيءٌ* وليتعلّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريةِ حتى لا يكونوا غيرَ

حضور الأيقونات في الكنيسة الأرثوذكسية

«والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقاً» (يو ١:١٤). يقوم موقف الكنيسة الإيماني من الأيقونات المقدسة على عقيدة التجسد. وهذا التعليم يظهر أن الصورة موجودة بالضرورة في جوهر المسيحية، لأن المسيحية ليست إعلاناً لكلمة الله فحسب، بل ولصورة الله أيضًا: «الله لم يرَهُ أحدٌ قطُّ. الابن الوحيدُ الذي هو في حضن الآبِ هو خبّرَ» (يو ١:١٨). الإله الكلمة صورة الله، و «هو بهاء مجده وصورة جوهره» (عب ١:٣)، بتجسده يعلن للعالم صورة الآب. «أنا معكم زمانًا هذه مُدَّتُهُ ولم تعرفْني يا فيليبُّسُ. الذي رآني فقد رأى الآبَ فكيف تقولُ أنتَ أرنا الآبَ» (يو ١٤:٩). الأيقونة إذاً هي حقيقة المسيحية الأعمق.

لقد قامت البشارة منذ بداياتها على الصورة والكلمة، كما ينقل التقليد الشريف وبعض الشهادات التاريخية: «تعاليا وانظرا ... تعال وانظر» (يو ١:٣٩و٤٦). لذا أكد آباء المجمع المسكوني السابع أن الأيقونات ليست من ابتكار الفنانين بل هي مبدأ أساس لتقليد الكنيسة الجامعة. وهذا بالتمام ما يفسر حضورها في الكنيسة. فهي تعبير تصويري عن تعليم الكنيسة، عبر عرض لمشاهد معينة من تاريخ الخلاص وإبراز معانيها الداخلية.

لكن الكنيسة لا ترى في الأيقونة مجرد فن ديني بسيط، مجرد تصوير لمشاهد من الكتاب المقدس وسِيَر القديسين. بل هي تؤكد على التماهي التام والحقيقي ما بين الأيقونة والكتاب المقدس. آباء المجمع السابع أقرّوا أن للأيقونة في الكنيسة نفس القيمة المعطاة للأسفار المقدسة وللصليب الكريم. فكما أن الكتاب هو صورة، كذلك صورة الأيقونة هي كلمة. والقديس باسيليوس الكبير يعلّم أن «ما تنقله الكلمة بالأذن، يظهره الرسم في صمت الصورة». فإن أهمية الكلمة والصورة، ودورهما في الكنيسة ودلالتهما هي ذاتها.

بالصورة يداني الوحي الإلهي واقع الناس كمرساة وبوصلة لحياتهم. وهذا معنى الفن الليتورجي

العدد ٢٠٠٥/٤٢

الأحد ١٦ تشرين الأول

أحد آباء المجمع المسكوني السابع

تذكار القديس الشهيد لونجينس قائد المئة

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

مثمرين* يسلّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلّمْ على الذين يحبوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الرب لتلاميذه أنتم نورُ العالم. لا يمكنُ أن تخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يوقَدُ سراجٌ ويوضَعُ تحتَ المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليضئ نورُكم قدّامَ الناس ليرَوا أعمالَكم الصالحةَ ويمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظنّوا أني أتيتُ لأَحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إني لم آتِ لأَحُلَ لكن لأُتمّم* الحقّ أقول لكم إنَّهُ إلى أنْ تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقْطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَنْ يَحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويعلّمُ الناسَ هكذا، فإنَّهُ يُدعى صغيرًا في ملكوتِ السموات. وأما الذي يعملُ ويعلّمُ فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات.

تأمل

إن الذي يسير في الظلام الحسي يقع في الهاوية. والذي يسير في الذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان والحياة المسيحيَين، ووسيلة لمعرفة الله والدخول في شركة معه. فالأيقونة هي لذلك، كحياة المسيحيين، فن في العالم ولكن ليست من العالم. «لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم» (يو ١٥:١٩). إنها صورة لملكوت الله الذي «ليس من هذا العالم» (يو ١٨:٣٦). وهي تتخطى كونها فنا لتصير صلاة، لتصير وسيلة لمعرفة الله ومدخلاً إلى الحياة الأبدية، التي بتجسد المسيح أضحت في متناول الناس. هذا يبدو بوضوح في حركة الأشخاص الحاضرين في الأيقونة. إنهم لا يتفاعلون فيما بينهم ضمن حلقة مغلقة، بل نشاهدهم في صلاة مستمرة يرنون إلينا ويدعوننا للمشاركة في الحدث السر لكي يُنجَز بذلك عمل الكنيسة الحقيقي أي إنشاء ملكوت الله على الأرض.

تمتاز الأيقونات الأرثوذكسية ببساطة ملامحها التي تضاهي بساطة الإنجيل حيث تتضاءل التفاصيل في تصعيد أقصى للتعبير، كما في كلام المسيح الشديد البساطة والذي هو في غاية العمق، لأنه يكشف سر الله. وما هذه البساطة في الخطوط واللون إلا ثمرة لنقاوة الإنسان وصفاء رؤياه. إن «راسم الأيقونات»، والتعبير الأدق «كاتب الأيقونات» كالواعظ، يحتاج إلى التنقي من كل عنصر ذاتي ومن أدران الأنانية، لينقل الكلمة الصورة بشفافية وأمانة، لينقل الحقيقة الروحية الأعمق التي لا تشاهدها إلا العيون المتنقية. لذا يمتنع الفنان عن توقيع عمله عالماً أن مبدأ الكرازة هو أن ينقص هو ليزيد المسيح (يو ٣:٣٠).

خلاصة القول إن الأيقونة ليست عقيدة ثانوية تابعة للإيمان المسيحي بل هي ركن إيماني خلاصي، وانعكاس لمجد الله على الأرض، الذي هو غاية حياة كل إنسان. هذا المجد الذي يظهر في واقع الناس ليفتديه وليحوّله إلى امتداد للملكوت وللمحبة الإلهية. الأيقونة كالكنيسة اقتحام روحي للواقع التاريخي ولحيز الحضارة والمادة. هي وعد بأفق مفتوح، برجاء لا ينقطع، بنور المسيح الآتي ليبدد كل ما في العالم من ظلمة. هي وعد بصورة الله التي تبقى حين يزول وجه هذا العالم.

رسالة الأيقونة أن تجعل من حياتنا شهادة لانتصار صورة الله على الأرض، وهذا الانتصار بالذات هو عيد الأرثوذكسية الذي تحتفل به كنيستنا في الأحد الأول من الصوم، وفي هذا الأحد الذي هو أحد آباء المجمع المسكوني السابع الذين دافعوا عن الأيقونة.

السبت والأحد

قلنا سابقًا إن كل الأمور الحاصلة في العهد القديم ما هي إلا ظل وصورة لما حصل في العهد الجديد (كو ٢:١٦)، لذا فإن جوهر السبت وحقيقته هو المسيح. في إنجيل متى نسمع الرب يقول: «تعالوا إليَّ يا جميعَ المتعبين والثقيلي الأحمال **وأنا أُريحكم**. احملوا نيري... فتجدوا راحةً لنفوسكم» (١١: ٢٨–٢٩). المسيح هو راحتنا.

ثم نقرأ مباشرة عن مواجهة حصلت بين الرب يسوع والفريسيين حول خرق التلاميذ وصية السبت بقطفهم سنابل القمح يوم السبت ليأكلوا. حجة الفريسيين ان التلاميذ يفعلون ما لا يحل فعله يوم السبت (١٢:٢). جواب يسوع لهم كان من العهد القديم (حيث أسس يوم السبت). ذكّرهم بما فعله داود الملك عندما أكل خبز التقدمة

الظلام الروحي ظلامِ عدم الإيمان، يقع في الرذالة والظلم. الذي يسير في النور الطبيعي لا يتعثّر والذي يسير في النور العقلي نور النعمة الإلهية يخطو طريق الفضيلة بلا عيب. يقول: «أسلكوا» أي تقوّموا بالأعمال الصالحة «كأولاد النور» أي كونكم مستنيرين بالإيمان والنعمة الإلهية.

يقول الرسول بولس : «أسلكوا كأولاد النور» وهو يشير إلى أعمال المستنيرين بالروح القدس داعيًا إياها ثمرَ الروح، كون الإنسان يحصل عليها عن طريق نعمة الروح القدس. وقد سبق الرسول وعدّد لأهل غلاطية تسعة أثمار للروح القدس: «وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة وتعفف» (غلا ٥:٢٢). بينما اختصر هذه الأثمار في رسالته إلى أهل أفسس إلى ثلاثة فقط: «في كل صلاح وبرّ وحق» (٥:٩). هذا لأن العدد تسعة يمكن أن يأتي من العدد ثلاثة. ومع الأثمار الثلاثة أضاف كلمة «في كل» لكي يظهر أنه، في كمال هذه الفضائل الكبيرة الثلاثة تكمن الفضائل الأخرى. لأنه عندما

الذي يحل للكهنة فقط أكله (١٢:٣ –٤). وفي مكان آخر يذكّرهم كيف ان اليهود يختنون أولادهم في اليوم الثامنِ حتى ولو كان يوم سبت. كما ذكرهم بما كتب في التوراة: «الكهنة في السبتِ في الهيكل يدنسون السبتَ وهم أبرياءُ» (متى ١٢:٥) لأنهم يقومون بتقديم الذبائح يوم السبت، يوم الراحة. يعلّق يسوع على الموضوع بقوله: «ولكن أقول لكم إنَّ ههنا أعظمَ من الهيكل... أريد رحمةً لا ذبيحةً... ان ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» (١٢:٦–٨). بعدها مباشرة تأتي قصة شفاء الإنسان ذي اليد اليابسة (١٢:٩–١١) وجدال يسوع مع الفريسيين حول هل «يحل فعل الخير في السبوت» (١٢:١٢). الفريسيون متمسكون بالقشور، يقدمون الذبيحة بقلب غير صادق ويهملون الرحمة. «السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» (مر ٢:٢٧). السبت وُضع لخير الإنسان وليس الإنسان عبداً للسبت. في هذه المقاطع يظهر لنا الرب الصفة الثانوية للسبت. ليس من ناموس مطلق حوله. يسوع هو رب الناموس وسيده وواضعه، وهو أعظم من السبت والهيكل، وهو السبت الحقيقي والراحة. الإنسان ذو اليد اليابسة وجد راحته في يسوع، كما ان الخطأة والعشارين وجدوا راحتهم في يسوع الآتي لدعوة الخطأة للتوبة (متى ٩:١٣).

إذا قرأنا قصة شفاء المخلّع منذ ثمان وثلاثين سنة (يو٥) أمام بركةً بيت حسد (بيت الرحمة)، ندرك موقف اليهود الناموسي القاسي بعدم جواز الشفاء يوم السبت وكأنهم أخضعوا الله للسبت، لذا عليه أن يرتاح ولا يعمل. وكانوا «يطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت» (٥:١٦). أجابهم يسوع «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (٥:١٧)، فطلبوا أكثر أن يقتلوه «لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضًا أن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله» (٥:١٨). القديس اقليموس الإسكندري يقول ان عمل الله لا يتوقف تمامًا كمحبته التي لا تنتهي. الله يضبط الكون كل الأيام بما فيها السبوت، والسبت الحقيقي الذي يرتاح فيه الله من كل أعماله هو في العالم الآتي. لقد وُجد السبت لكي يُبقي الشعبُ اللهَ في قلبه ويتذكره دومًا، كما أن الوصايا الأخرى «أعطيت لقساوة قلوبكم» (متى ١٩:٨) لكي يتهيأ الشعب للعهد الجديد ولكمال الناموس.

ليتورجيًا، السبت في العهد القديم هو اليوم السابع: «فاستراح الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمله الله **خالقًا**» (تك ٢: ٢–٣). لكن الخلق الجديد الذي أعادنا أبناءً للملكوت صار بيسوع المسيح لما «سَبَتَ بالجسد بواسطة سر التدبير الصائر بالموت وعاد أيضًا بواسطة القيامة» (سَحَر السبت العظيم، جناز المسيح).

بالمسيح يسوع تجددت الخليقة وصارت أمة مقدسة لله، أُعيدت من الموت للحياة. كمال الخلق صار بعمل يسوع الخلاصي، بموته وقيامته، وأدخلنا في اليوم الثامن، يوم القيامة التي هي خارج إطار الزمن، إلى ملكوته الذي هو خارج إطار الزمن أيضًا. من هنا صارت قيامة المسيح الحدث الأهم في سر الخلاص وحلّ يوم القيامة، الأحد، يوم الخلق الجديد، مكان يوم السبت. لأن راحتنا وقداستنا هي في الخلاص الذي حققه لنا يسوع والذي رفضه اليهود في القديم. وقد جمع يسوع في ذاته معنى الراحة ومعنى اليوم السابع.

نسلك «بكل صلاح» محسنين للأصدقاء والأعداء، «بكل برّ» غير ظالمين أنفسنا بعمل الخطيئة، والقريبَ بالادعاء والتهجّم عليه ظلمًا، «وبكل حق» قائلين حقيقة الإيمان وآخذين جانب الحق في كل كلام وعمل، عندئذ نحبّ، نفرح، نسالم، نتأنى، نصبح صالحين، مؤمنين، ودعاء ومتعفّفين.

هكذا نسلك كأولاد النور، باختبار الأعمال التي ترضي الرب. نستنير عن طريق الخبرة، خبرة الأشياء التي ترضي الرب. ولكن كيف نقوم بمثل هذا الاختبار؟ علينا أن نبحث ونتعلّم الأمور التي أوصى بها الرب في الكتب المقدسة، الأمور التي نقلها الرسل شفهيًا أو كتابة، تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية: هذه هي الأمور التي ترضي الرب. عندها يمكن لنا أن نثبّت أقدامنا ونتمسك بها. «اثبتوا إذاً أيها الإخوة وتمسّكوا بالتعاليم التي أخذتموها سواء كان بالكلام أو برسالتنا» (٢تسا ٢:١٥). أما تلك التي هي من ابتكار الناس فتجنّبوها «لأنها كالخرافات الدنسة العجائزية» (١تيمو٤:٧).

نيكيفوروس ثيوطوكس

+ الأحد: إنطلاقاً من مركزية القيامة في إيماننا المسيحي يكتب القديس اغناطيوس الإنطاكي: «ان المحافظين على النظم العتيقة قد اعتنقوا الرجاء الجديد ولم يعودوا يعيِّدون يوم السبت، ولكنهم يعيشون بمقتضى يوم الرب الذي فيه أشرقت حياتنا به وبموته...».

يوم الأحد، يوم الرب، هو اليوم الذي قام فيه الرب من بين الأموات. «وبعدما مضى السَّبتُ، اشترت مريمُ المجدليَّةُ... حنوطاً ليأتينَ ويدهَنَّهُ وباكراً جداً في أول الأسبوع أتينَ إلى القبر...» (مر١٦: ١–٨). انه يوم القيامة الذي غلب فيه المسيح الموت وفتح أبواب الملكوت متخطياً أيام الخلق الستة. كل أحد هو بمثابة الفصح الأسبوعي للمؤمنين. إنه يوم الراحة الفعلية لأنه يوم القيامة التي بها داس الرب الخطيئة وأراح جنس البشر من عبودية الشرير. لقد قدَّس الرب الزمن بقيامته يوم الأحد، لذا اعتبر المؤمنون يوم الأحد مكرّساً للرب ويوم عبادة له، فيه تبارَك كل الأعمال التي يقومون بها خلال الأسبوع.

الرب لم يخترع يوماً جديداً بل جدَّد السابق وأكمل ما كان قد بدأه. في الخلق الأول اليوم الأول هو يوم خلقِ النور: «وقالَ اللهُ ليكن نورٌ فكانَ نورٌ» (تك ١: ٣). وفي الخلق الجديد أشرق شمس العدل من القبر وأخرجنا من ظلمة الخطيئة إلى نور القيامة.

إنه اليوم الأول، يوم الخلق الجديد. يقول أفسافيوس الإسكندري (القرن ٥): «يوم الأحد هو ذكرى مقدَّسة للرب. يُسمَّى يوم الرب لأنه رب كل الأيام. قبل الآلام لم يكن يُسمى يوم الرب إنما اليوم الأول». بحسب القديس أثناسيوس الإسكندري (القرن ٤) هذا اليوم حلَّ مكان السبت لأنه «عندما يُخلق شعب جديد حسب الكلمة، لا تعود حاجة لأن يحفظ هذا الشعب الجديد نهاية الخلق الأول (السبت) بل يسعى وراء بداية الخلق الثاني (الأحد). وما هذا إلا اليوم الذي قام فيه الرب. من هنا تبدأ الخليقة الجديدة التي يقول عنها بولس الرسول: «إن كانَ أحدٌ في المسيحِ فهو خليقةٌ جديدةٌ» (٢كور ٥:١٧).

الأحد هو أيضاً اليوم الثامن. نعلم ان الأسبوع يحوي سبعة أيام فقط، فكيف نسمي الأحد اليوم الثامن؟ الجواب بسيط، لأن يوم القيامة هو يوم خارج إطار الزمن، يوم الملكوت الذي فتحه يسوع، يوم الحدث الذي لا يحدّه أي عقل، أي صورة الحياة الأبدية الدهرية. إنه الزمن المفتوح على الآخرة. إنه يوم يختلف عن باقي الأيام التي نعيشها في الأسبوع لأن ما حدث فيه يختلف عن كل ما حصل في الأيام السابقة. لذلك الاشتراك في القداس يوم الأحد مهم جداً، لأن فيه نتذوق الملكوت الذي أدخلنا إليه يسوع باشتراكنا في الذبيحة الإلهية، كما نشترك في مائدة الملكوت، مائدة الرب، ونخرج في نهاية القداس «بسلام» لكي نبشِّر بما قد اختبرناه. نرتاح في القداس.

إحلال اليوم الثامن مكان السابع ليس سوى تعبير رمزي واضح لحلول المسيحية محل اليهودية. في اليوم الثامن أدخلنا يسوع في الراحة الأبدية. مهمة هذا اليوم أن يبقي بين المسيحيين الوعي الأخروي بتذكيرهم بالحياة السماوية الآتية ويمنعهم عن التلهي بالأمور الأرضية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb